مجلة جامعة ام القرى لعلوم اللغات وآدابها

الموقع الإلكتروني: https://uqu.edu.sa/jll

التفاعل الثقافي في شعر سعاد الصباح

Cultural interaction in the poetry of Souad Al-Sabah

د. عبد الناصر بدري أمين علي

أستاذ مساعد، عمادة البحث العلمي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية

Dr. Abdel Nasser Badri Amin

Assistant Professor, Deanship of Scientific Research - Umm Al-Qura University, Saudi Arabia

تاريخ الاستلام: 13/04/ 2022 تاريخ القبول:31/08/ 2022

Received: 13-04-2022 Accepted: 31-08-2022

الملخص

إن ثقافة الشاعر من أهم روافده الشعرية، وقد سافرت الشاعرة سعاد الصباح كثيرًا، وطوفت في بلاد المشرق والمغرب، ورأت في أثناء أسفارها تلك الكثير من مظاهر تلك الديار التي زارتها، وعاشت فيها، وتعرفت ثقافات متعددة تتفق في بعض الأحيان مع ثقافتها العربية، وتختلف. وقد بدا تأثر الشاعرة في أشعارها بتلك الثقافات تأثرًا كبيرًا، كما بدا ذلك واضحًا في تبنّيها بعض الأفكار، واتخاذها موقفًا معيَّنًا من أخرى، وتمردها على ثقافة مجتمعها العربي، والتقاليد الشرقية، والغمز واللمز في أحيان أخرى إلى الجمود، وعدم التحضُّر في ثقافتنا العربية.

الكلمات المفتاحية:

تفاعل، الثقافة، شعر، سعاد الصباح

Abstract

The poet's culture is one of his most important poetic tributaries. The poet Souad Al-Sabah traveled a lot, toured the countries of the East and the Maghreb, and during her travels she saw many aspects of those lands that she visited and lived in, and got to know multiple cultures that sometimes agree with her Arab culture, and differ. In her poems, the poet was greatly influenced by those cultures, as was evident in her adoption of some ideas, taking a certain position from others, and rebelling against the culture of her Arab society and eastern traditions, and muttering at other times to the stagnation and lack of civility in our Arab culture.

Keywords

interaction, culture, poetry, Suad Al-Sabah

معلومات التواصل: **عبد الناصر بدري أمين علي**

البريد الإلكتروني:abaly@uqu.edu.sa

Doi: https://doi.org/10.54940/ll59859929

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين،،، وبعد

فقد اطلعت على إبداع الشاعرة سعاد الصباح، وسطعت أمامي شمس حياتها- من خلال جماليات فنها الشعري-، وما اعتراها من مؤثرات ثقافية، واتضح لي بالقراءة عنها، وقراءة نتاجها الشعري أن الشاعرة قد سبحت في الثقافة العربية حتى تشبعت، ثم طافت بثقافات مختلفة عدة صهرتها الشاعرة في بوتقتها الفنية؛ مما أحدث في إبداعها الشعري خصوصية لافتة تمتزج فيها الثقافات، وتتفاعل المعارف، وتنتشي حالة الثورة، والتمرد، كل ذلك أخذ بيدي؛ لأناقش ما بدا لي في شعرها من تفاعل ثقافي، وما جرى على لسانها من صياغات شعرية تصويرية ترسم ذلك التفاعل.

وقد تتبعت إبداعات الشاعرة فيما لفت انتباهي من تفاعل الثقافات عند الشاعرة الأنثى الأميرة المتمردة، وناقشتها في بعض المواضع، وعلقت في مواضع أخرى.

فجالَ بحثي بين المنهجين: الاستقرائي للنصوص الشعرية التي تشع منها فكرة الموضوع، والمنهج الوصفي الذي ناقشتُ من خلاله ما عبَّرَتْ عنه الشاعرة، أو تبنَّتْهُ، وعلقت في بعض الأحيان على رؤى الشاعرة، وجاءت تعليقاتي بين الإعجاب والقبول والرفض، وجاءت خطتي في البحث بعد المقدمة، والإضاءة على شخصية الشاعرة في ثلاثة محاور، وخاتمة، تناولت في المحور الأول الثقافة العربية في شعر الشاعرة، وفي المحور الثاني واقع المرأة في الحضارة العربية، وكان المحور الثالث تحت عنوان تنوع الثقافات في شعر سعاد الصباح، ثم كانت الخاتمة التي أشرتُ فيها إلى منجزات البحث، وأهم نتائجه.

إضاءة على شخصية الشاعرة سعاد الصباح:

سعاد بنت محمد الصباح من مواليد الكويت مايو 1942م، أتمت بكالوريوس الاقتصاد من القاهرة، ثم سافرت إلى إنجلترا؛ حيث حازت درجة الدكتوراه في الاقتصاد عام 1981م، وأجادت اللغتين الفرنسية والإنجليزية"[(1)].

حققت ثقافة عالية خلال دراستها؛ حيث صقلت إمكاناتها بالقراءة في الثقافات المتعددة العربية، والفرنسية، والإنجليزية، ومعرفة الشعوب بعاداتها وتقاليدها؛ حتى عرَّفت نفسها حين

---

(1) ص 10 مقدمة قراءة مسافر في شعر سعاد الصباح د / محمد التونجي- شركة النور للصحافة والطباعة والنشر- ط 2 -سنة 1987م.

سألوها: "من أنت؟ أجابت: امرأة قررت أن تخرج من قارورة التاريخ، وأن تركب سفينة الحرية حتى الغرق!".[2]

ومن هذا التعريف نشتَمُّ رائحةَ التمرُّدِ في شخصية الشاعرة سعاد الصباح، ولو كلفها هذا التمرد حياتها؛ فهي عاشقة له؛ ومن هنا بدأ صوتُها الشعري رافضًا "بإيقاعات إبداعاته قناعات سائدة، وعادات راسخة تحكم نمطية العلاقات التي تربط بين الرجل والمرأة كقيمة أخلاقية في سلم علاقات ممتدة عبر التاريخ"[3]، .

لذا؛ جاء شعرها يحمل نبرة الرفض، والتمرد، والذات، والجماعة، وتبنت فيه قضايا عدة منها الدفاع عن الوطن، والحديث عن النخوة العربية، ومجد العرب، وقضية المرأة في الحضارة العربية، كما ثبت في دواوينها معارفها، وثقافاتها، وفلسفتها، وتحدثت في أشعارها عن الحضارة الغربية؛ حيث تفاعلت في داخلها حضارات عدة، ، بدا ذلك واضحًا في نتاجاتها الشعرية، مثل:

ديوان "أمنية" و"فتافيت امرأة"، و"في البدء كانت الأنثى"، و"برقيات عاجلة إلى وطني"، و"خذني إلى حدود الشمس"، و"إليك يا ولدي"، و"امرأة بلا سواحل"، و"قصائد حب"، وقد رثت ابنها، وزوجها عبد الله المبارك، والزعيم العربي جمال عبد الناصر، وتناولها بالدراسة كثيرون منهم: فضل الأمين (سعاد الصباح شاعرة الانتماء الحميم)، د/عبد الله مرتاض (النص والنص الغائب في شعر سعاد الصباح)، د/محمد التونجي (قراءة مسافر في شعر سعاد الصباح)، فاضل خلف (سعاد الصباح الشعر والشاعرة)، د/عبد الله أحمد المهنا (تمرد امرأة خليجية. قراءة نقدية في شعر سعاد الصباح).

---

[2] ص 5 مقدمة سعاد الصباح الشعر والشاعرة – فاضل خلف– شركة النور–ط 1– سنة 1992م، وانظر ص435 أعلام الشعر في الكويت–علي عبد الفتاح– مكتبة ابن قتيبةللطباعة والنشر والتوزيع–الكويت–ط1–1999م.

[3] ص 17 مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ع 105 الكويت أبريل مايو يونيو سنة 2002 "تمرد امرأة خليجية– قراءة نقدية في شعر سعاد الصباح– د عبد الله أحمد المهنا"، ويراجع في ذلك كله: ص336–دراسة في شعر سعاد الصباح –نبيل راغب–الهيئة المصرية العامة للكتاب–مصر– ط1– 1993م، وكذا ص43–سعاد الصباح رحلة في أعمالها غير الكاملة عبد اللطيف الأرناؤطي– بيروت–ط1– 1995م، وكذا ص23 لغة التماس مطالعة في شعر سعاد الصباح– محمود حيدر–مؤسسة دار الكتاب الحديث –بيروت لبنان ط1 1995م، وينظر ص17 قضايا وأدوات في شعر سعاد الصباح–مختار أبو غالي–دار سعاد الصباح–القاهرة ط1– 2003م.

المحور الأول: الثقافة العربية في شعر سعاد الصباح:

إن المبدع عندما تسيطر عليه ذاتيته، ويحاول أن يحاور الآخر من خلال إبداعه؛ فإنه يتغنى بتاريخه، ومجد أجداده، ويعيد على مسامع الآخر مآثره التي ترفع شأنه، وتعلي قدره في صورة الجماعة.

وإذا كان الشعر هو اللون الأدبي الذي يخاطب المشاعر والأحاسيس؛ فهو خير مثال للحديث عن النفس في مواجهة الآخر، خاصة إذا كان المحرك والدافع ثورة في داخل المبدع ضد بعض السلبيات في مجتمعه يريد إصلاحها، أو مباهاة بالجانب الآخر من ثقافته، وهو الجانب الإيجابي.

والشاعرة سعاد الصباح تنتمي إلى نوعية لها خصوصيتها في نطاق الإبداع الفني، ألا وهي نوعية الثائرين عاشقي أوطانهم، وثقافة بلادهم يؤرقهم أي خلل ينتاب موضع المسيرة الصحيحة في تلك الثقافة التي تنتمي إليها.

ومن هنا؛ بدت في شعرها رؤى متباينة تجاه تلك الثقافة؛ فمرة بالفخر بها، والثناء عليها، وأخرى بمجادلتها، وثالثة بالثورة عليها، والسخرية منها، وتبني رؤية الآخر في حالة رابعة.

وأعرض لهذه الرؤى على اختلافها من خلال أشعار المبدعة سعاد الصباح؛ فعندما تفخر الشاعرة بالحضارة الإسلامية العربية تقول:[4]

في حنايا عروبتي رضع المجد
وكان العلا وهان الفداء
أنا أمِّيَ الغرَّاءُ فاطمةُ الزهرا
ءُ وأختِيَ العظيمةُ الخنْساءُ
وأبي يَعْرُبُ الذي باركَ الأرْضَ
وقامتْ في ظِلِّهِ الأنبياءُ
وأخِي قَاهِرُ الغُزاةِ الصليبيْـ
ـيِين يا ليتَ تنطقُ الأشلاءُ
وديارِي مبرورة بالضحايا
ولداتي الأبطال ةالشهداء
هؤلاء الكرام قومِي فقولوا
مَنْ همو قومكم؟ ومن أين جاءوا؟!

إنها ابنة تلك الثقافة العربية الإسلامية، وربيبتها، وتذكر الشاعرة مفردات فخرها، كما تذكر انتماءها إلى مفردات تلك الثقافة التي شهدت الدنيا لها ذات يوم.

وإذا كان الأمر كذلك؛ ففي سبيل الحفاظ على هذا التراث المحبب إلى النفس ذي المكانة العالية في القلوب، لا بد للأمة الإسلامية، والعربية أن تفتديه بالروح، والمال إذا ما تعرض إلى هجمة شرسة من قبل الأعداء[5]:

واشهدوا أننا سنثأر لله .. ولله كم يهون الفداءُ
ويباهي بنا النبي ويرضى .. البيت عنا والقبة الغراء
وتعودين يا حبيبة يا قدس

---

[4] ص 15: 16ديوان أمنية د/ سعاد الصباح– مطابع دار المعارف– مصر– سنة 1982م.

[5] ص 19 المصدر السابق.

ويرضى المسيح والعذراء

وهنا يأتي الرضا من الجانب المسيحي الذي عانى من اضطهاد اليهود، والذي رمزت إليه بقولها: "ويرضى المسيح والعذراء".

ولذلك؛ عندما توفى جمال عبد الناصر بكته الشاعرة، وأبكت الكون معها[6]:

مصر يا أمي ويا همّي ويا خير المهادْ
لمن الصرخة في الليل دَوَت في كل وادْ؟
لمن الدنيا ادلهمَّت وكسا الشمس السوادْ؟
وارتدي الصبح على مشهده ثوب الحداد
لا تقولي أسلم الناصر للموت القيادْ
بعد أن كان مني العرب وآمال البلادَ
إنه كان على أيامنا خير عتادْ
إنه كان لنا النبض الذي يغدو الفؤادْ
إنه كان هدى الشعب على درب السدادْ
إنه كان الذي علمنا معنى الجهادْ
بيد تبني وتعلي ويد فوق الزنادْ
إنه استشهد كي يصبح للجرح ضمادْ
باذلا في جهده من دمه الغالي مدادْ

وهكذا ترى الشاعرة أن مصر أم العرب، وحاضنتهم، والقائد فيها قائد للعرب على جبهة الدفاع عن المقدسات، وما يصيب مصر يصيب العرب.

وقد بذل في جهده هذا دمه الغالي في سبيل توحيد الصف العربي في وجه قوى الاستعمار:[7]

باذلًا في جهده من دمه الغالي مدادْ
لوفاق العرب بعد المِحَنِ السودِ الشِّدَادْ
ليرد الفتنة الكبرى إلى نهج الرشاد
وارْوِ عنه أنه قرَّب أيام الحصادْ
لقيام الوحدة الكبرى وتحقيق المراد
سائرًا في دَرْبِ عمرو وطريق ابن زياد

فالعرب قد فرقتهم محنه تسلُّط اليهود على أرضهم، واحتلال جزء عزيز على كل مسلم، وهو "فلسطين"، ومن هنا؛ قامت الحروب بين العرب واليهود، وساند الغربُ اليهود؛ ليمكنوا لهم أقدامهم في فلسطين، وليكيدوا للعرب والمسلمين، ولذا؛ توالت المِحَنُ، والهزائم، ودخلت بين العرب الفرقة، والتشرد، إلا أن الشخصية التاريخية شخصية "جمال عبد الناصر" تبلورت عن بطل قاوم هذا الانهيار في الأمة، وجمعهم، وقتل الفتن في مهدها، ورسَّخ للوحدة العربية.

وتأتي الشاعرة بنموذجين من التاريخ الإسلامي سارا سِيرَةً طيِّبة في قيادتهما، أولهما: سيدنا عمرو بن العاص الذي فتح مصر، وعمرها بالإسلام، وثانيهما: طارق بن زياد الذي فتح الأندلس، وعرَّف الغرب نور الإسلام، وسماحته.

تنعى الشاعرة حال العرب بعدما تبدل الحال، وتبكي على حضارة العرب التي ذبلت أوراقها في هذه الأيام، وذلك في رسالة موجهة إلى هذا الرجل الذي كان مُمْسِكًا بزمام الأمة،

---

[6] ص 12 : 13 المصدر السابق.

[7] ص 13: 14المصدر السابق (أمنية).

تقول:[8]

كنا جبالًا معه من حجر الصوان
وكان يحمينا من الركوع والهوان

ولذا؛ تراه:[9]

يجمع القبائل–ويستثير نخوة الفرسانْ
وُيرجِع الملك إلى بيت بني عدنانْ
كان هو المسيح في اعتقادنا
فهو الذي عَمَّدَنا وهو الذي وحَّدَنَا
وهو الذي عَلَّمَنَا–أن الشعوب تَسْجِن السَّجَّانْ

وإن كان يؤخذ على الشاعرة ترسيخها للمسيحية، وتقاليدها في ثقافتها، والصواب أن تعتزَّ الشاعرة بدينها الإسلاميّ، ورموز دينها، لا أن تسير وراء استعمالات، وتوظيف يخالف ثقافتنا، وعقيدتنا؛ لمجرد أن ذلك وارد في ثقافة الغرب، وتعبيراته، يبدو ذلك بوضوح عندما تقول: " كان هو المسيح في اعتقادنا–فهو الذي عمدنا".

وبعد موت القائد الذي وحد الأمة تبدل حالها، وتركتْ الجهاد، ونسيتْ أسبابه تقول:[10]

بعدك نام السيفُ في قرابِهِ
واستنسرَ الذبابْ

ولذا؛ نرى الشاعرة تخاطبه في قبره خطاب الحزينة الباكية على ما آلت أمور البلاد، وما تم استقطاعه من جسد الأمة بالبيع، والتأجير، والانغلاق، والتطبيع، والتسهيل، والتسليم، والاستسلام، يؤرقها كل ذلك؛ فتبكيه في شخص ذلك البطل الذي كانت ترجوه للوطن، وتشكو له تلك التحولات التي تؤلمها، وتقض مضجعها؛ فتسمعنا أنينها على قبره[11]:

يا ناصر العظيم
هل تقرأ في منفاك أخبار الوطن؟
فبعضُهُ مُغتصَبٌ–وبعضه مُؤجَّرٌ
وبعضه مُقَطَّعٌ–وبعضه مُرَقَّعٌ
وبعضُه مُطَبِّعٌ–وبعضُه منغَلِقٌ
وبعضُهُ منفَتِحٌ–وبعضُهُ مُسَالِمٌ
وبعضه مُستَسْلِمٌ
وبعضه ليس له سَقفٌ ولَا أبْوَابُ

وتواصل الشاعرة خطابها إلى رمز الوحدة ناصر:[12]

يا ناصر العظيم
لا تسأل عن الأعرابِ
فإنهم قد أتقنوا صناعة السبابِ
وواصلوا الحِوَارَ بالظِّفْرِ والأنْيَابِ
وحاصروا شعوبهم بالنار والحِرَابِ
سامحني فما لديّ ما أقوله في زمن الخرابِ

وتتحدث الشاعرة عن واقع الثقافة العربية، وتقرن بين حالها قبل ظهور البترول، وحالها بعده تقول:[13]

في عيوني تتلاقى

---

[8] ص 136 ديوان فتافيت امرأة –د سعاد الصباح– دار سعاد الصباح –ط 1– سنة 1992م.
[9] ص 140–141 المصدر السابق.
[10] ص 142 المصدر السابق.
[11] ص 143 المصدر السابق.
[12] ص 144 المصدر السابق.
[13] ص 119 : 120 المصدر السابق.

أنجم الليل وأشجار النخيلْ
من هنا أبحر أجدادي جميعا
ثم عادوا يحملون المستحيلْ
ومع اللؤلؤ في البحر ترعرعتُ
ولَمْلَمْتُ محارًا ونجومَا
آه .. كم كان معي البحرُ حنونًا وكريمَا

لكن تغيرت الحال بسبب غير خفي صرحت به الشاعرة في قولها : [14]

ثم جاء النفط شيطانًا رجيمَا
فانبطحْنَا عند رِجْلَيْهِ رِجَالًا ونِسَاءَ
وعبدناه صباحًا ومساءَ
ونسينا خُلُقَ الصحراءِ والنخوةَ والقهوةَ
والمهباجَ والشِّعْرَ القديمَا
وغرِقْنَا في التفاهاتِ
هَدَمْنَا كلَّ ما كانَ مُضِيئًا
وأصيلًا وعظيمَا

وهكذا ترى الشاعرة الأميرة أن البترول أثر في ثقافة العرب تأثيرًا سلبيًّا؛ حيث فقدت الأصالة في الأشياء والمواقف، ونُسِي القديمُ بكل ما فيه من قِيَمٍ، وفي ذلك يكمن الدمار وبسببه تنهار الأمم ، ولذا تقول الشاعرة عن أجدادها وأصالتهم وتمسكهم بالجهاد:[15]

غرفتي الشمس ومن بعض أسمائي الصَبَاح
وجدودي اخترعوا الأمواج والبحر
وموسيقى الرياح
صادقوا الموت فلا الخيل استراحت
من أمانيهم ولا السيف استراح

إنها صور ناطقة تصور مجد العرب الذي عاشوه قبل أن يتملكهم حب الدنيا الذي تعبر عنه الشاعرة بقولها[16]:

ثم حلت لعنة النفط علينا
فاستبحنا كل ما ليس يباح
فالبساتين فراش للهوى
والنساء الأجنبيات
يعطرن لياليا الملاح
والدنانير على الأقدام ترمى
وعلى الأجساد تصطف القداح
هكذا يا وطني ترفع رايات الكفاح

وتصور سيف أبيها، وهو يبكي لعدم استعماله وإهماله، والاكتفاء بوضعه على الحائط؛ فهو يبكي حاله، تقول:[17]

هكذا يبكي على الحائط سيف أثري لأبي
هكذا من يأسه يبكي السلاح

وذلك؛ لأن العرب غيروا حياتهم، وسلوكهم؛ حتى أصبحت الشاعرة تحتاج إلى دليل يعرفها وطنها:[18]

وطني أصبحت لا أعرفه
هل هو البازار؟
والشيكات من غير رصيد؟
ودكاكين القمار؟

---

[14] ص 120 المصدر السابق.
[15] ص 121 فتافيت ....
[16] ص 121 . 122 المصدر السابق.
[17] ص 122 المصدر السابق.
[18] ص 123 فتافيت.

والشعب لا يملك القدرة على الجهاد والكفاح، وعندما يتعرض الوطن لأي اعتداء؛ فلا يسمع إلا الصراخ، والعويل:[19]

فاغضبي أيتها الأرض التي
ما شاركت في الحرب إلا بالصراخ
والتي ما أنجبت بعد مخاض موجع
-غير فرسان (المناخ)

وهنا تأتي الدعوة للتغيير، والاتجاه للوحدة، ورفع الضيم عن المقهورين:[20]

يا بلادي-اخرجي من نشرة العملات والأسهم
وانضمي إلى جيش العربْ
إن في لبنان أطفالا يموتون
وعِرْضًا يُغْتَصَبْ

وفي هذه الأبيات إشارة إلى الصراع العربي الإسرائيلي؛ حيث يحاول اليهود في كل فرصة تتاح لهم الانقضاض على جزء من الوطن العربي، يقتلون فيه الأطفال، وينتهكون الأعراض.

وتتحول الشاعرة إلى مواضع الفخر من أمتنا التي تبدلت، وتحاول أن تضع المقابلات أمامنا؛ لتنصع الصورة للمتلقي؛ ليقوم بالتغيير[21] تقول:[22]

كلما أبصرت في الحلم صلاح الدين
يستجدي فتات الخبر في القدس
ويستعطى على باب السيوف العربية
كلما شاهدتُهُ
تائهًا يسأل في الصحراء عن أحياء طيٍّ
وتميمٍ وغُزَيَّهْ
كلما شاهدته في مركز البوليس
مرميًّا على الحائط من غير كفيلٍ أو هويَّهْ
صحت من أعماق جرحي
أيها العصر الشعوبي الذي..
صار فيه السيفُ يحتاجُ إبرازَ الهويَّة

إن الشاعرة في تلك الأبيات السابقة تفخر بماضٍ زاهرٍ بالبطولة، كأنها تذكرنا به، وفي الوقت ذاته تلمز بذكاء إلى ما وصلت إليه حال العرب من خور وضعف تاه بينهما رموز النضال والجهاد، ثم نرى الشاعرة تبكي على ما صارت إليه حال العرب من عدة زوايا:[23]

كُلَّمَا مر ببالي عَرَبُ اليوم بَكَيْت
كُلَّمَا فكرت في حال قريشٍ
بعد أن مات رسول الله
خانتني دموعي فبَكَيْت
كُلَّمَا شاهدت عصفورًا بروما
أو بباريس يُغنِّي
دون أن يشعر بالخوف بكيت
كلما شاهدت طفلًا عاريًا
يُشْرِبُهُ البغضَاء من ثدي الإذاعات بَكَيْت
كُلَّمَا شاهدت جيشًا عربيًّا

---

[19] ص 123 فتافيت.
[20] ص 128 السابق.
[21] انظر ص 56 التجربة الشعرية عند المتلقي د عبد اللاه محروس- مطبعة الأمانة- ط 1- سنة 1988م.
[22] ص 129 فتافيت.
[23] ص 131 فتافيت.

يُطْلِق النَّارَ على الشعبِ بَكَيْت
كُلَّمَا حدثني الحاكم عن عشق الجماهير له
وعن الشورى وعن حرية الرأي بكيت
كُلَّمَا استجْوَبَنِي بوليس قُطْرٍ عَرَبِيّ
عن تفاصيل جوازي–عُدْتُ مِنْ حيثُ أتَيْتْ

إنها تبكي بمرارة يصورها تكرار الفعل (بكيت) تبكي عرب اليوم الذين تفرَّقوا، وتبكي الحرية الضائعة في العالم العربي، بينما هي مكفولة للجميع في الغرب، وأخيرًا تسأل سؤالها المُرَّ الذي لا جواب له إلا النفي، ولها أسبابها المقنعة؛ فتقول:[24]

هل من الممكن إلغاء انتمائي للعَرَبْ؟
إن جسمي نخلة تشرب من بحرِ الْعَرَبْ
وعلى صفحة نفسي ارتَسَمَتْ
كلُّ أخطاءِ وأحزانِ–وآمالِ العَرَبْ

إنها منتمية حتى النخاع إلى عروبتها، وانطبعت في مكوناتها الثقافة العربية بكل ما اصطبغت به تلك الثقافة من أخطاء، وأحزان، وآمال.

وتضع شاعرتنا الجواد العربي نموذجا للثقافة العربية له أصالته، وله قِيَمُهُ التي تعمقت فيه، وعاش بها أصيلًا أبيًّا، تتمثَّلُهُ الشاعرة في قولها:[25]

أن في قلبي جوادًا عربيًّا
عاش طول العمر في الحبِّ أبيًّا
فإذا عَانَدْتَهُ ألفيْتَهُ ثارَ كالماردِ جبارًا عتيًّا
وإذا لاينْتُهُ ألفَيْتُهُ باتَ كالطِّفْلِ رقيقًا وحيِيًّا
لمسةٌ تجرَحُ من عِزَّتِهِ
يستحيل الطفلُ وحشًا بربريًّا
همسة تأتيه من غير رضا
يملأ الكونَ ضَجيجًا ودَوِيًّا

وتدعو محبوبها إلى الملاينة، وعدم الإثارة، والاستفزاز؛ لأنها عنيدة عناد هذا الجواد العربي، وإذا عاندها كان هو الخاسر:[26]

لا تعاندني فأغدو حِمَمًا
تهدم الدنيا عليك وعليَّا
فحنانيك وحاذِرْ غضبَتي
إن في قلبي جوادًا عربيًّا

وتلفت الانتباه إلى أهمية التكافل الاجتماعي في الحضارة الإسلامية العربية، وقد جعل الإسلام الزكاة رُكنًا من أركانِ الإسلام إذا أخرجها الأغنياء إلى الفقراء انعدمت مثل هذه الحالات في مجتمعنا، أو كادت، ونرى الشاعرة تسوق لنا قصة سائلةٍ اضطرتها ظروفها للشكوى من ظلم مانعي الزكاة، وهي مفتقدة لشعور التكافل الاجتماعي في مجتمع إسلاميٍّ:[27]

جاءت تُطالعني بشكواها
والحُزن يصرُخ في مُحيّاها
والماء يقطُرُ من أناملِها
وتكاد منه تذوبُ كفاها
قالتْ عيالي سِتة ولهم
في العيش حاجاتٌ وأعباءُ

[24] ص 132 فتافيت امرأة.
[25] ص 40 . 42 ديوان أمنية.
[26] ص 43 المصدر السابق.
[27] ص 33 المصدر السابق .

وأبوهمُو أزرى الهزال به
ومشى بصلبِ عروقه الدَّاءُ

إنهـا امـرأة تعـاني الفقـر، والحاجـة، والمرض هي وزوجها، وتعاني كثرة العيال مع الفقر، حركت حكايتها قلب الشاعرة؛ فبذلت لها ما يبدد ما هي فيه من بأس علها تعيد إليها شيئًا من سعادتها: [28]

بيني وبين الله ما بذلَتْ
كفّي لِتُبَدِّدَ البأسَا
وشعرْتُ حين رأيتُ بسْمتَها
بسعادتي فِكرًا وإحساسا
ليس السعيدُ منِ اغتنى
لِيرى مَنْ حوْلَهُ يّضونَ أنْفاسَا
إن السعادةَ عند ذروتها
هي أن أعيش لأسعد الناسَا

وما هذا الموقف الجميل بخارج عن ثقافتنا الإسلامية التي دعت إلى الشعور بالآخرين، وإخراج جزء معلوم من أموال الأغنياء، ودفعه إلى الفقراء؛ حتى تستقيم الحياة، وتعم الألفة

والمحبة بين أبناء المجتمع، وذلك بخلاف الحضارة الغربية المادية الرأسمالية التي لا يشعر أغنياؤها بالفقراء، والمحتاجين، بل، يزيدون في إذلالهم وقَمْعِهِم.

وعندما تتحدث الشاعرة عن الاجتماعيات في الثقافة العربية تتناول بيئتها الكويت، ومنها تنطلق أغصان الثقافة العربية بمعطياتها الحيوية:[29]

شواطئ مصقولة كالمرايا
وبحر يوزع كل صباح علينا
ألوف الهدايا–وشاي أبي
وابتسامة أمي
وكوب الحليب قبيل الذهاب إلى المدرسة

إنها الحياة الرائعة، والترابط الأُسَرِي، وطلب العلم، والثراء البحري، وجمال الطبيعة مع الأمن والأمان.

وتتحدث الشاعرة عن الثقافة العربية في الكويت التي تحبها؛ فتقول:[30]

لحرية الرأي فيك تراث طويل
وزرع العروبة فيك قديم قديم
كهذا النخيل

وحين تتناول الشاعرة سلبيات الثقافة العربية المعاصرة ترفضها في صور تصنعها بإبداعها اللافت للأنظار جديدة من نوعها:[31]

لقد قرر العالم العربي اغتيال الكلامْ
وقرر أيضًا–إبادة كل الطيور الجميلة كل الحمامْ
ونحن طيور مثقفة لا تطيق
غسيل الدماغ–وكسر العظامْ

---

[28] ص 35 ديوان أمنية.

[29] ص 146 المصدر السابق.

[30] ص 150 فتافيت امرأة.

[31] ص 154 : 155 المصدر السابق، وانظر: ص113 الصورة الأدبية تاريخ ونقد –د علي علي صبح– دار إحياء الكتب العربية– د. ط. ت.

فعصر المباحث صادر منا السماء–وصادر منا
الحقائب صادر منا السفر
وأدخل للسجن ضوء القمر !!

ولذا؛ تصرخ الشاعرة من أعماقها على الصورة الناصعة للثقافة العربية التي توارت خلف الصورة السلبية التي تنفي عن الوطن صفته الأساسية التي هي دار الأمن والأمان، ولكن كل ذلك لم يكن؛ فالوطن صار غطاؤه المنافي، والسجون، ويمتلئ بالمشانق والمخبرين، وهي تنكر كل ذلك في الأرض التي يمكن أن يُطلق عليها (وطن)، تصور الشاعرة ذلك في قصيدة بعنوان: "وصل السيف إلى الحلق"[32]:

أعطني شبرا من الأرض يسمى وطنا
لا تغطيه المنافي والسجون
أعطني شبرا من الأرض يسمى وطنا
ما به مشنقة أو مخبرون

وفي هذا الزمان انهارت القيم، ونُسى الجهاد، تقول الشاعرة:[33]

يا زمانًا رحل الأعرابُ عنه
وأتى المستعربون
واستقال السيف من أحلامه
واستقال الفاتحون

وقد احتلت إسرائيل جنوب لبنان، وترفض الخروج منه، ولذا؛ رأينا أهل الجنوب اللبناني يقاومون هذا العدوان الظالم، والاحتلال الخبيث؛ فتقول[34]:

وفي فمي سؤال: هل أصبح الجنوب وحده
قاعدة النضال؟

ونرى الشاعرة تشيد بأطفال الحجارة الذين يقاومون الاحتلال الإسرائيلي لأرض فلسطين وبيت المقدس في انتفاضة أطفال الحجارة، فتقول:[35]

هذه سمفونية الأرض العظيمة
تتوالى تتوالى مثل ضربات القدر
مرة في بيت لحم
مرة في غزة–مرة في الناصرة
كنست في لحظة أسماءَ كلِّ الزعماء
أغلقت بالشمع أوكارَ السياسة
فاستقيلوا يا كبار الشعراء
ليس للشعر لدينا سادةٌ أو أمراءْ
إن للشعر أميرًا واحدًا يُدْعَى الحَجَرْ

إن ثورة الشاعرة هذه ما هي إلا انتفاضة شعرية تصحح بها وضع الشعر ومسيرته حيث نراها عقدت الإمارة للحجر الذي يفعل الكثير؛ ولذا، تقول:[36]

فافرشوا السجاد والورد–لأطفال الحجارة
واغمروهم بالزهر
إن إسرائيل بيت من زجاج–وانكسر

---

[32] ص 159 فتافيت امرأة.

[33] ص 167 فتافيت امرأة.

[34] ص 144 ديوان خذني إلى حدود الشمس– سعاد الصباح– دار سعاد الصباح للنشر–ط 1 –سنة 1997م.

[35] ص 149–150 المصدر السابق.

[36] ص 152 المصدر السابق.

وعندما يلوح وجه الفتنة في الكويت تهب الشاعرة للإصلاح، والاتعاظ بما حدث في لبنان؛ فتقول في قصيدتها "فتنة" من ديوان إليك يا ولدي:[37]

وأبكي وأجرع خوفا عليك
من الفتنة المرة الطاغية
فمأساة لبنان لما تزل
تلوح بألوانها القانية

وعندما تتعرض الكويت للغزو العراقي يجن جنون الشاعرة؛ فتقول:[38]

سوف نبقى واقفين–مثل كل الشجر العالي
أيها الآتون في الفجر على دبابة
من رأى دبابة تُجْرِي حِوَارَا؟
أيها الجار الذي كان مع الأيام جارًا–يا الذي
روعت آلاف المَهَا
إن ما سميته ملحمةً كُبْرَى
أُسَمِّيهِ انْتِحَارَا

ولذا؛ اعتبرت الشاعرة ذلك الحدث خيانة، وطعنة في الظهر:[39]

عندما يطعنني في الظهر سيف عربي
يصبح التاريخ عارَا
عندما يذبحني أبناء عمِّي–في فراشي
يُصبح الحلم العُرُوبِيُّ غبارَا

وعندما ترثي الشاعرة زوجها عبد الله المبارك في قصيدتها: "آخر السيوف"، تعرج على الآثار التي تركها الاحتلال العراقي على الكويت وشعب الكويت:[40]

الإخوةُ الأعداءُ مَرُّوا مِنْ هُنَا
كَيْ يَمْلَؤُوا تَارِيخَنَا تَزْوِيرَا
شنقوا الغَنِيَّ على مشانق حِقْدِهِمْ
أما الفقيرُ فلا يزال فقيرَا
غدروا بـ (هارون الرشيد) واحرقوا
كتب التراث وأعدموا (المنصورَا)
عبثوا بأجساد النساء ودنسوا
قبر (الحسين) ودمروا تدميرَا
من ذا يحاسب حاكمًا متسلطًا
ذَبَحَ الشعوب حماقة وَغُرُورَا

المحور الثاني: واقع المرأة في الحضارة العربية:

وتتحدث الشاعرة عن معاناة المرأة العربية في إبداء مشاعرها؛ فتقول:[41]

أطلقوا خلفي كلابَ النقدِ–حتى يرعبوني
سَخَّرُوا أجهزةَ الإعلام ضدي
واستعانوا بالجنود الإنكشاريين حتى يسكتوني
هكذا أوحى لهم سيدهم أن يصلبوني

وإن كانت الشاعرة تريد تصوير معاناتها من مواقف البيئة العربية التي ترفض انطلاق المرأة، أو خروجها عن تقاليد مجتمعها –ما كان لها أن

---

[37] ص76 إليك يا ولدي– سعاد الصباح– دار سعاد الصباح للنشر– ط 1–سنة 1992م.

[38] ص 41– 44 برقيات عاجلة إلى وطني– سعاد الصباح–دار سعاد الصباح للنشر– ط 1–سنة 1992م.

[39] ص 47 المصدر السابق.

[40] ص 19–20 –آخر السيوف– سعاد الصباح– دار سعاد الصباح للنشر–ط 1 سنة 1992م.

[41] ص 101 امرأة بلا سواحل– سعاد الصباح– دار سعاد الصباح للنشر–ط 1–سنة1994م.

توظف في ذلك رمز (الصلب) –وهو رمز يتعارض مع رؤية الإسلام؛ فالتعبير عن المعاناة أبوابه، وصوره كثيرة، ومتعددة بعيدا عن هذه الرمزية.

وتطلب من العاشق العربي أن يغير نظرته إلى الأنثى في عشقه:[42]

أيا عاشقا.. لا يفرق في لعبة الحب
ما بين لحم النساء
وما بين لحم العجول
بعينيك ألمح عصر المماليك حيًّا
وألمح سوق الجواري.. تصرف
كما كان يومًا جدودك..
يستملكون النساء كأي عقارْ..
ويعتبرن الأنوثةَ.. مصدرَ ذلٍّ.. ووصمةَ عَارْ

ومع أن العصر تبدل، وتغير، وسافر العاشق إلى بلاد الغرب، وتثقف بثقافة الغرب، وعرف نساء الغرب، وتلقى بعض المعارف من الغرب، إلا أنه باق على جاهليته –حسب رؤية الشاعرة– :[43]

أيا أيها الجاهليُّ المخضرمُ
أيا راجعًا من فرنسا على فرسٍ من حديدِ
وفي شفتيه حليبُ النياق وطعمُ الثريدِ
أمَا صقلتك الحياةُ قليلًا؟
أما هذَّبَتْكَ النساءُ قليلًا؟
أمَا علمَتْكَ مقاهي المدينةِ
أيَّ كلامٍ جديد؟

وتنظر إلى الرجل العربي في عصرها نظرتها إلى الطائر المحلق الحر في جو السماء، بينما يفرض سيطرتَهُ على الأنثى؛ فيقيدها، ويمنعها من الطيران، ويحبسها؛ ولذا، تجد الفرق بعيدًا بعيدَا بينها وبين الرجل، وترى الرجل طاغية: [44]

فرق بعيد بيننا يا سيدي
فأنا محافظة.. وأنت جسور
وأنا مقيدة وأنت تطيرْ
فرق كبير بيننا.. يا سيدي
فأنا الحضارة.. والطغاة ذكورْ

وترى الشاعرة أن الرجل الشرقي–العربي– ينظر إلى المرأة بعين واحدة؛ فيرى منها جانبًا دون الآخر، وتستحضر –لذلك–صورة" شهريار، ولا تختبئ خلف تعبيرها:[45]

فلماذا . أيها الشرقي . تهتم بشكلي؟
ولماذا تبصر الكحل بعيني؟
ولا تبصر عقلي؟
ولماذا فيك شيء من بقايا شهريار؟

---

(42) ص 144– 116 المصدر السابق.

(43) ص 117 المصدر السابق..، وانظر ما قالته نجوى حسن في بحثها: في ظلال الإبداع مع الشاعرة سعاد الصباح–الأوائل للنشر والتوزيع–دمشق–ط1–1999م ص10.

(44) ص 93 : 94 امرأة بلا سواحل.

(45) ص 10 في البدء كانت الأنثى– سعاد الصباح–دار سعاد الصباح للنشر– ط1–سنة 1994م، وانظر ص139 من أدوات النص–محمد تحريشي–منشورات اتحاد الكتاب العرب–دمشق–ط1–2000م.

ومـع أن ديننـا الحنيـف مبنـيٌّ علـى الأوامـر، والنـواهي للرجـل والمـرأة–ولـيس هـذا بعيـب– تعترِض الشاعرة على تسلط هذا الرجل الشرقي علـى الأنثـى بـالأوامر والنـواهي–أليس هـو ولـيُّ أمرهـا؟!– ؛ ولـذلك، تطلـق عليـه اسـم "هولاكـو" القائد المغولي الطاغية تقول:[46]

يا هولاكو الأول.. يا هولاكو الثاني
يا هولاكو التاسع والتسعين
لن تدخلني بيت الطاعة.. فأنا امرأة
تنفر من أفعال النَّهْيِ
وتَنْفُرُ من أفعال الأمرْ

وتدرك الشاعرة أنها خرجت على حدود العـادات، والتقاليـد، وتعـاليم الـدين؛ فتعتـرف دون مواربة أنها تفعل ذلك، وتقول:[47]

أصعد إلى فضاءات.. لم تصعد إليها امرأة
قبلي..
وارتكب كلامًا عن الحبِّ
لم ترتكبه سيدة عربية قبلي
ولا أظن أنها سترتكبه بعدي

وتبـدو الشـاعرة منهكـة مـن نظـرة الرجـل الـذي لا يعـدُّها عنصـرًا فعـالًا فـي المجتمـع؛ فهـو يتفَـرَسُ جوانـب الجمـال فـي المـرأة، ويشـبع رغبتـه منهـا؛ فإذا شبع تركها مهملة:[48]

وأنا متعبة من ذلك العصر الذي
يعتبر المرأة تمثال رخامْ
ولماذا لا يرى فيها سوى قطعة حلوى
وزغاليل حمامْ؟
ولماذا يقطف التفاح من أشجارها.. ثم ينامْ؟

وأرى أن المـرأة العربيـة فـي الجاهليـة كانـت منتهكـة، ومرفوضـة مـن المجتمـع العربـي، وقـد حكى القرآن الكريم شيئًا من ذلك، وألمح إليه في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[49]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَـوْؤُودَةُ سُـئِلَتْ﴾[50]، وجـاء الإسـلام، وارتقـى بـالعرب فـي كل جوانـب حياتهم أخلاقيًّا، ودينيًّا، وعلميًّا، وارتقى بمكان المرأة في المجتمع، ورفع شأنها.

ولـو أن الشـاعرة أتـت مـن التـاريخ الإسـلامي بنمـاذج نسـائية كـان لهـا دور فـي المجتمـع، ورفعـت شـأن المـرأة العربيـة فـي ثقافتنـا بالرجوع إلى تلك النماذج لكانت قد فعلت الفعل الجميل، وأشعلت بالنور مشعل ثقافتنا.

وأرى كـذلك أن الشـاعرة وظفـت الثقافـة الغربيـة التـي اكتسـبتها فـي قضـيتها التـي تبنَّتْهـا (قضية المرأة العربية)، وأنها تأثرت بثقافة الغرب التـي عايشـتها، وأعجبـت بهـا، بـل، وفضـلتها فـي بعـض الأحيـان علـى الثقافـة العربيـة فـي هـذا الجانب مع أن المرأة الغربية لا تحظى مطلقًا بما تحظى به المرأة العربية من حقوق، وأفضل تلك

---

[46] ص 32 المصدر السابق.

[47] ص 101 قصائد حب– سعاد الصباح– دار سعاد الصباح للنشر–ط 1–سنة 1992م.

[48] ص 14 في البدء كانت الأنثى.

[49] آية 58 سورة النحل.

[50] آية 8 سورة التكوير.

الحقوق أن المرأة العربية يظلها جناح ولي الأمر الذي يحفظها من الذلل والضياع، ولها الحق في اختيار الزوج، ولها الحق في مفارقة الزوج الذي لا تحبه، ولها الحق في المهر إذا تزوجت، ونفقة المتعة إذا طلقها زوجها، ولها الحق في حضانة أولادها، ولها الحق في الميراث من أبيها، وزوجها، وابنها.. في حين أن المرأة الغربية لا تحظى بكثير من هذه الحقوق.

المحور الثالث: تنوع الثقافات في شعر سعاد الصباح:

- **الصراع العربي الإسرائيلي:**

تتعرض الشاعرة سعاد الصباح في إبداعاتها لصراع العرب مع اليهود الذين احتلوا أرضنا، واغتصبوا بيت المقدس، وتراهم بمنظارها؛ حيث جاءوا من أصقاع العالم؛ ليستوطنوا أرض فلسطين، تقول:[51]

أجِّجُوا الحقدَ أيها الاشقياء
لم تمت في عروقنا الكبرِياءْ
أنا أمي الغراء فاطمة الزهراء
وأختي العظيمة الخنساءْ
وأبي يَعْرُب الذي بارك الأرض
وقامت في ظله الأنبياءْ
وأخي قاهر الغزاة الصليبيين
يا ليت تنطق الأشلاءْ
وديارِي مبرورة بالضحايا
ولِذَاتِي الأبطال والشهداءْ

ثم تتجه إلى الحوار مع هؤلاء اليهود مقيمة الحجة عليهم، تقول:[52]

هؤلاء الكرام قومي فقولوا
من همو قومُكُمْ؟ ومن أين جاءوا؟
من أبوكم؟ من أمُّكُمْ؟ من ذووكم؟
أين تاريخكم؟ وأين البناء؟
خير أسلافكم ذرته السواقي
وطوته في تيهها سيناء
هكذا أدبروا فلم يبق منهم
بعد موسى.. فكلكم لُقَطَاء
أيها العالقون في ذيل أمريكا
وبالدُّونِ يَعْلَقُ الأدْنِيَاء

إنها تهجو اليهود، ومن يقف وراءهم، وتنفي عنهم الانتساب إلى الحضارة الإنسانية، وتذكرهم بمعاصيهم أوامر الله، والأنبياء، وبتيههم في سيناء، وترى فيهم الدونية، والضعف، والتعلق في ذيل الأقوياء، ثم تتجه إلى أمريكا، وأفاعيلها التي تنضح بالخزي والعار؛ فتقول:[53]

كم بتدبيرها تهاوت حقوق ..
وسرت فتنة وعم بلاءْ
كم على نارها تلظت شعوبه..
استبيحت أطفالها والنساءْ
غير أن الرحى تدور على الباغي..
وبعد الصباح يأتي المساءْ

[51] ص 15 . 16 ديوان أمنية ....

[52] ص 16 ديوان أمنية.

[53] ص 17 ديوان أمنية.

وتتحدث الشاعرة عن صراع أمريكا مع الضعفاء، وكيف يتصدون لها:[54]

انظروا ما يصيبها في فيتنام
تروا كيف يصمد الضعفاءْ
وانظروا السود جائعين ولكن
هم بتأييد ربهم أقوياءْ

وتخاطب الشاعرة أمريكا بعد ذلك في أسلوب ساخر من مساندتها اليهود والوقوف إلى جانبهم لإنشاء دولة في قلب العالم العربي : [55]

يا بلاد الهوان يا أم صهيون
وبالأم يعرف الأبناء
يا بلاد المهاجرين ومنهم
جاءنا الضائعون والدهماء
أنتِ أرسلتهم لإنشاء ملك
في بلادي قوامه الغوغاء
أنتِ حرضتهم على نزع أرضي
حسبي الله إن أرضي سماء

وترى الشاعرة أن أمريكا ليست لها ثقافة، ولا تاريخ، وأن الشعب الأمريكي غريب عن البلاد التي يسكنونها الآن، وهم في الأصل نازحون من أوربا، وغيرها، وأن اليهود مهاجرون من تلك البلاد، وليس لهم حق في فلسطين كذلك.

ثم تتحدث عن أفاعيل اليهود في فلسطين بعدما وضعوا أيديهم عليها؛ فتقول:[56]

غالها حارقو المساجد غدرًا
فاتركي العرق وانفري يا دماء
غالها سارقوا الكنائس جهرًا
فدع الصمت وانتفض يا إباء

وتوجه حديثها إلى الأصدقاء:[57]

اشهدوا ما تخطه يد أمريكا
وتلك الربيبة النكراء

وتتناول الشاعرة هذا الصراع بين العرب واليهود في قصيدة أم الشهيد[58]:

رأيتها ملتفة بالسواد–في وجهها ملحمة من جهادْ
سألتها عنه فقالت فتى–ملتهب العزم كريمُ جوادْ
لما دعا للثأر داعي الحمى–وهبته لله رب العبادْ
حتى تعود الأرض صفوًا لكم
ويرجع الكوخ ويحلوا الرقادْ
ويفرح الله بنا عندما
تزول أسطورة أرض المعادْ

وتؤكد الشاعرة أن إسرائيل ليست راسخة، وستنتهي قريبًا:[59]

إن إسرائيل بيت من زجاج وانكسر
ها هم أكبادنا
يقتلون الزمن العبري.. ويلغون أساطير اليهودْ

ومع ذلك فإن إسرائيل تفسد في الأرض، ولا تتوقف عند حد:[60]

إن في لبنان.. أطفالا يموتون
وعرضًا يُغْتَصَبْ

---

[54] ص 17 المصدر السابق.
[55] ص 17 المصدر السابق.
[56] ص 18 ديوان أمنية.
[57] ص 19 المصدر السابق .
[58] ص 8 . 10 المصدر السابق.
[59] ص 152 : 154 ديوان خذني إلى حدود الشمس.
[60] ص 128 ديوان فتافيت امرأة.

- **الاستعمار الأوربي:**

وتلفت الشاعرة نظر متلقي إبداعها إلى مرحلة الاستعمار الغربي، وما فعله من أفاعيل في الشعوب التي احتلوا بلادها –بدعابة غزلية مع المحبوب في قصيدة "حكم ذاتي":[61]

أنت كالاستعمار القديم
تضع يدك على كل مناجمي
وقمحي وفاكهتي ومعادني
وثرواتي الطبيعية
وتتشبث بالأرض.. وصاحبة الأرض

وإن كان الاستعمار قد رحل من أرضنا فقد احتل عقول الكثيرين منا، وبعضنا ظل ثابتًا على عاداته، وتقاليد حضارته، من هذا النوع الثاني مَنْ تحدثت عنه الشاعرة ساخرة منه:[62]

أيا ايها الجاهلي المخضرم.. يا راجعًا من
فرنسا.. على فرس من حديد
وفي شفتيه حليب النياق
أما هذبتك النساء قليلًا؟
أما علَّمَتْكَ مقاهي المدينة.. أيَّ كلامٍ جديد؟

ومن النوع الأول ما عبرت عنه الشاعرة في "الحب في الهواء الطلق":[63]

حين تكون حبيبي.. أهتف باسمك في (باريس)..
وفي (لوزان) وفي (ميلانو)
أدخل كل مقاهي العالم.. مقهى مقهى

وتتناول الشاعرة ثقافات متباينة من الحضارة الإنسانية في قراءة غير تقليدية[64]؛ حيث تقول:

لا تقرأني من اليمين إلى اليسار
على الطريقة العربية
ولا من اليسار إلى اليمين
على الطريقة اللاتينية
ولا من فوق إلى تحت
على الطريقة الصينية
اقرأني ببساطة..
كما تقرأ الشمس أوراق العشب

وفي قصيدة: حب عندما سافرت الشاعرة منفردة دون حبيبها –تقول:[65]

هل اشتريت ثيابا جديدة؟ لم أشتر شيئًا
هل اشتريت عطورًا؟ لم أشتر شيئًا
مع من تناولت العشاء ليلة السبت؟
مع الأشباح..
مع من رقصت؟ مع الأشباح أيضًا
ماذا فعلت إذن؟
شتمت نفسي.. وشتمتك.. وشتمت (فولتير)..
و(روسو).. و(فيكتور هيجو)
وذرفت دمعة على شهيدة العشق الإلهي
صديقتي.. (ماري انطوانيت)
يا سيدتي: "إن امرأة لها مثل عينيك السوداوين
لا تتعشى وحدها في مدينتنا

---

(61) ص 94 في البدء كانت الأنثى.

(62) ص 117 ديوان امرأة بلا سواحل، وانظر: ص67 من الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية–عز الدين إسماعيل–دار العودة–بيروت لبنان–د.ت–2000م.

(63) ص 42 : 43 في البدء كانت الأنثى.

(64) ص 51 في البدء كانت الأنثى.

(65) ص 80 . 83 قصائد حب.

هذا ليس من تراث باريس
كانوا يحتفلون بالذكرى المائتين
على هدم سجن الباستيل
وأنا من يهدم سجني.. ويطلق سراحي؟

وتتملك الثقافة الغربية شاعرتنا؛ فتتكلم بلسانها، وتعجب بالحياة هناك:[66]

صِرتُ أرتادُ المقاهي.. لتشربنِي
واشتري الصحف الصباحية لتقرأنِي

وفي قصيدة: أعقل المجانين تتحدث عن معارفها في الحضارة الغربية، وتضحيات الحب:[67]

يحكون عن كل العصور.. عن (روما)..
و(أثينا).. و(فلورنسه)
قرأت كثيرًا عن مجانين الهوى
وعن (فان جوخ)..
ولكني لم أعرف مجنونًا أعقل منك..
قرأت عن ملوك تنازلوا عن عروشهم
ليحتفظوا بعرش الحب.. قرأت كل معاجم العشق
قرأت (أوفيد).. (عيون إلزا)

وتعاني الشاعرة الغربة في (فرنسا)؛ فتفقد كل الأشياء حولها من مأكل، أو مشرب، أو مزارات ومتاحف –نكهتها؛ لأنها بعيدة عن محبوبها:[68]

فخبز (الباغيت) بعدك لا يؤكل
وقهوة (الإكسبرسو) بعدك لا تشرب
وجريدة (لومند) بعدك لا تقرأ
وبرج (إيفل).. انحنى ظهره
و(نابليون بونابرت) حزم حقائبه وغادر (الانفاليد)
إن سماء (باريس) لا تمطر إلا على معطفك
ولوحة (الموناليزا) لا تبتسم إلا لك
ومقاهي الحي اللاتيني ومتحف (اللوفر) ومركز (بومبيدو) لا تتألق إلا بحضورك.

وفي حالة من الذوبان الخالص في ثقافة الآخرين، وتقاليدهم، ورموزهم الدينية، تعبِّر الشاعرة عن ذلك بأنها تعيش الحب في مقارنة بين محبوبها و(فالنتاين):[69]

هذا يوم قديس الحب (فالنتين)
ومع احترامي لجميع القديسين
تبقى أنت قديسي
الأوربيون أحرار في اختيار قديسهم
وأنا حرة في اختيار قديسي
هم مقتنعون بكرامات أوليائهم
وأنا مقتنعة بكراماتك.

وحين تَشتَمّ الشاعرة رائحة البنِّ في (كافتيريات روما) مع حبيبها، ثم تفارقها؛ فإنها تتذكر هذه الرائحة بصوت الحبيب، ورائحته مع التباهي بارتكاب المخالفات:[70]

يذكرني صوتك.. ورائحتك
برائحة البن في (كافتيريات روما)
وفي بعض لحظات الانخطاف
أحمل لك زجاجة (الشامبو)

---

(66) ص 95 فتافيت امرأة.
(67) ص 105 . 113 فتافيت امرأة.
(68) ص 88 : 92 قصائد حب.
(69) ص 135 . 136 المصدر السابق.
(70) ص 47 : 64 قصائد حب.

حتى أعطيك الشعور.. بأنك أحد الأباطرة
ونراها ترفض ثقافتنا بتقاليدها، وتراثها الموروث
بعد الانغماس في الثقافة الغربية:[71]

مشكلتك الكبرى يا صديقي.. أنك تختزن في
ذاكرتك.. كل الأفكار السلفية
وكل الكلمات المأثورة.. من نزعات التملك
والسيادة.. والتعددية النسائية
ورغم كل أسفارك.. فإنك لم تبارح خيمتك
في عصر حرب النجوم.

وبطريقة المحرض على الاستمرار على حياة الغرب، ورفض العودة إلى بلاد العرب، وثقافتهم تقول الشاعرة:[72]

عندما تسافر امرأة عربية
إلى (باريس).. أو (لندن).. أو (روما)
تأخذ على الفور شكل حمامة.. ترفرف فوق
التماثيل.. وتحسو الماء من النوافير
وفي طريق العودة.. يتبدد الحلم
وتدخل مع بقية الدجاجات.. إلى قُنِّهَا

وقد تبنت الشاعرة قضية المرأة العربية وصراعها مع الرجل، وقد وضحتُ ذلك في تناولي للحضارة العربية في شعر سعاد الصباح في بداية البحث ووضحت أن هذه النبرة نبرة غربية تشبعت بها المبدعة، وأريد أن أوضح أن التفرقة في الحضارة العربية الإسلامية بين الرجل والمرأة تفرقة نوعية انبنت على اختلاف في الطبيعة واختلاف في الوظيفة.

وتشير الشاعرة سعاد الصباح إلى اهتمام الغربيين بالجمال العربي، وبالكحل العربي متمثِّلًا في شخصها، وطريقة ضيافتهم العرب:[73]

عندما دخلنا منزل (موزارات)
في (سالزبورج).. ورآني معك
ورأى الكحل العربي في عيني
جلس على (البيانو) القديم
وعزف مقطوعة (زواج الغيغارو)
ونسى جميع السائحين

وفي شعر مبدعتنا علا صوت الكنائس، وبدا الصليب في مواضع عدة، ويمكن أن يكون ذلك افتتانًا منها، وتأثرًا بالحضارة الغربية المسيحية، مثل قولها[74]:

وإن صلبوني.. فشكرًا لهم
لقد جعلوني بصف المسيح

ومثل قولها في رثاء جمال عبد الناصر:[75]

كان هو المسيح في اعتقادنا.. فهو الذي عَمَّدنا

وتقول:[76]

وأن النساء سيرقصن تحت صليبي

وتقول:[77]

أصابعك تشتعل فوق الطاولة
كشمع الكنائس

وعن شاي الساعة الخامسة تقول:[78]

---

[71] ص 133 . 135 في البدء كانت الأنثى.
[72] ص 106 المصدر السابق.
[73] ص 88 في البدء كانت الأنثى.
[74] ص 20 فتافيت امرأة.
[75] ص 141 المصدر السابق.
[76] ص 28 في البدء كانت الأنثى.
[77] ص 73 المصدر السابق.
[78] ص 118 فتافيت امرأة.

أُصبح الصليبَ الذي أنزف عليه

وفي قصيدة ابتهالات تتحدث عن القلب الجريح الذي عانى من الآلام ما عاناه المسيح حين صُلِبَ –حسب قولها– والقرآن الكريم يؤكد نفي الصلب، تقول:[79]

صُلِبَتْ آماله الحيرى على مرآى الجميع

فبدا من يأسه يحمل آلام يسوع

وتتحدث عن نواقيس الكنائس، وتشبهها بأحزانها في: أحزان سائحة[80]:

هنا نواقيس المعابد الحزينة النداء

كأنها أصداء أحزاني تملأ الأجواء

وتقول أيضا[81]:

أصرخ: أحبك

فتخرج المدينة

وتقرع أجراس الكنائس

وتتشبث بالإكثار من ذكر الكنائس؛ فتقول في لجوء غير سياسي[82]:

أصرخ: أحبك.. فتترك الحمائم

سقوف الكنائس

لتعمر أعشاشها.

وتتحدث عن القس(فالنتاين) الذي يحتفل الأوروبيون به كرمز للمحبة:[83]

هذا يوم قديس الحب (فالنتاين)

لأقدم نذوري.. وأحرق بخورى

وتقول في موضع آخر[84]:

هكذا أوحى لهم سيدهم .. أن يصلبوني

كما بدت ثقافة الشاعرة سعاد الصباح في إشاراتها السريعة إلى ثقافات عدة تأثرت بها، أو أفادت منها:

ففي إشارتها إلى الحضارة الفرعونية التي عاشت، وترعرعت في مصر ترى الفرعون جبارًا حاكمًا بأمره، وهي لا تستطيع إلا أن تقف في وجهه، وتتحداه هو وأمثاله؛ لأنها تنحاز إلى حزب الفقراء[85]:

أتحدى ألف فرعون على الأرض

وأنضم لحزب الفقراء

وترى أن محبوبها يتكبر، ويصدر لها الأوامر؛ فهي تشبهه بفرعون، تقول[86]:

لو كنت تعرف كم أحبك .. لم تعاملني كفرعون

وتشير إلى الآثار المصرية[87]:

ابق بين ملفاتك .. مزروعا كمسلة مصرية

وتحدثت عن السيجار الكوبي[88]:

ابق بين ملفاتك .. وسيجارك الكوبِي

---

[79] ص 114 أمنية.

[80] ص 45 أمنية.

[81] ص 118 في البدء كانت الأنثى.

[82] ص 105 المصدر السابق.

[83] ص 138 قصائد حب ، وانظر ص 33 سعاد الصباح رحلة في أعمالها غير الكاملة– عبد اللطيف الأرناؤطي– شركة النور –بيروت– لبنان ط 1 سنة 1995م.

[84] ص 101 امرأة بلا سواحل.

[85] ص 104 المصدر السابق.

[86] ص 67 فتافيت امرأة ..

[87] ص 83 فتافيت امرأة ...

[88] ص 62 المصدر السابق.

وتتناول الإمبراطورية الرومانية في صورة قائدها[89]:

حتى أعطيك الشعور بأنك .. أحد الأباطرة

وعند حديثها عن القتلة تشبههم في ملامحهم المتقاربة بالأرز الصيني[90]:

تتشابه كالرز الصيني.. تقاطيع القتله

وفي الثقافة الصِّينيَّة ليحافظوا على صِغَرِ أقدام النساء يصنعون لهن أحذية ضيقة؛ فيتحمل النساء ضيق الأحذية مدة معينة؛ للحفاظ على رشاقتهن، وكأن الشاعرة تُلَمِّح إلى بعض العادات التي ترفضها؛ فهي تخلعها كما تخلع الحذاء الصيني الضَّيِّق من قدمها؛ لأنها تعترض على كل تضييق، تقول[91]:

فأخلع الحذاء الصيني الضيق.. من قدمي

وتناولت المناخ السويسري ببلابله، وصيفه، وغاباته[92]:

صوتك بلبل.. وصيف.. وغابات سويسرية

وتصف الآسيويات وقد أسدلن الشعر الأسود على ظهورهن –وهذه صورتهن الطَّبَعِيَّة– يحيين حبيبها[93]:

لأنك تحب الشعر الأسود الطويل

فإن الآسيويات

أسدلن ستائر الليل على ظهورهن.. تحية لك

وعن الجمال الطَّبَعِي في وجوه نساء سنغافورة، وكأنهن الصورة الحقيقية لوجه سنغافورة:[94]

فإن الله أبدع في رسم.. وجه سنغافورة

خاتمة البحث:

لقد بدت لي من خلال بحثي هذا براعة الشاعرة سعاد الصباح في صياغاتها الشعرية حال تعرضها لبعض المواقف العربية التاريخية، وكذا عمق التجربة لديها مما تدل على ثقافة عالية، وعمق في تجربتها الشعرية، وغزارة في معارفها، وظفتها بذكاء في صياغاتها الشعرية، غير أنها بدأت بالالتزام العروضي، والقصائد العمودية، ثم أخذ بها التمرد على تلك التقاليد إلى الخروج عليها إلى صيغة شعر التفعيلة، والشعر الحر، وقصيدة النثر، بالإضافة إلى تمردها على كثير من العادات والتقاليد، وثوابت الثقافة العربية، وافتتانها في قضية المرأة العربية بالثقافة الغربية، ولم تجد حرجًا في الاستشهاد في شعرها ببعض الرموز المسيحية، مثل: الصليب، والصلب، وناقوس الكنائس، وكذلك قضية الحرية هناك، كما تناولت الشاعرة –في تلميحات سريعة لها– المعتقدات، وآلهة الحب، المأكولات، والمشروبات، والعادات والتقاليد التي عرفتها في زياراتها إلى أوروبا، ودول شرق آسيا، ومن هنا؛ فقد بدا الحديث عن الثقافات الأخرى في شعر

---

[89] ص 83 المصدر السابق.

[90] ص 125 خذني إلى حدود الشمس.

[91] ص 105 قصائد حب.

[92] ص 115 خذني إلى.

[93] ص 109 المصدر السابق.

[94] ص 110 المصدر السابق، وانظر ص91 من المغامرة الجمالية للنص الشعري–دمحمد صابر عيد–عالم الكتب الحديث للنشر–عمان–ط1–2008م.

الشاعرة سعاد الصباح واضحًا جليًّا، وكانت صور التفاعل الثقافي في شعرها متباينة إلى حد ما، فبين مجرد التعبير عنها في بعض الأحيان، وبين تبنّيها في أحيان أخرى، وبين عقد المقارنة بين تلك الثقافات وثقافتنا العربية في بعض الحالات، وبين الافتتان بثقافة الآخر، والسخرية من ثقافتنا التي وصفتها بالجمود في حالات أخرى.

المصادر والمراجع:

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: المصادر:

1-ديوان آخر السيوف- سعاد الصباح- دار سعاد الصباح للنشر-ط 1-سنة 1992م.

2-ديوان إليك يا ولدي-سعاد الصباح-دار سعاد الصباح للنشر-ط 1-سنة 1992م.

3-ديوان امرأة بلا سواحل- سعاد الصباح -دار سعاد الصباح للنشر-ط 1-سنة 1994م.

4-ديوان أمنية د / سعاد الصباح- مطابع دار المعارف مصر سنة 1982م.

5-ديوان برقيات عاجلة إلى وطني-سعاد الصباح-دار سعاد الصباح للنشر-ط1 سنة 1992م.

6-ديوان خذني إلى حدود الشمس-سعاد الصباح- دار سعاد الصباح للنشر-ط1-سنة 1997م.

7- ديوان فتافيت امرأة د سعاد الصباح- دار سعاد الصباح -ط 1-سنة 1992م.

8-ديوان في البدء كانت الأنثى- سعاد الصباح- دار سعاد الصباح للنشر-ط 1-سنة 1992م.

9-ديوان قصائد حب- سعاد الصباح- دار سعاد الصباح للنشر- ط 1-سنة 1992م.

ثانيًا: المراجع:

10-أدوات النص-محمد تحريشي-منشورات اتحاد الكتاب العرب-دمشق-ط1-2000م.

11-أعلام الشعر في الكويت-علي عبد الفتاح- مكتبة ابن قتيبةللطباعة والنشر والتوزيع-الكويت-ط1-1999م.

12-التجربة الشعرية عند المتلقي- د عبد اللاه محروس- مطبعة الأمانة -ط 1 سنة 1988م.

13-دراسة في شعر سعاد الصباح -نبيل راغب-الهيئة المصرية العامة للكتاب-مصر- ط1- 1993م.

14-سعاد الصباح الشعر والشاعرة-فاضل خلف-شركة النور-بيروت-لبنان-ط1-سنة 1992م.

15-سعاد الصباح شاعرة الانتماء الحميم-فضل الأمين شركة النور-بيروت-لبنان-ط1-سنة 1994م.

16-سعاد الصباح رحلة في أعمالها غير الكاملة- عبد اللطيف الأرناؤطي- شركة النور-بيروت-لبنان-ط1-سنة 1995م.

17-الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية-عز الدين إسماعيل-دار العودة-بيروت لبنان-د.ت-2000م.

18-الصورة الأدبية تاريخ ونقد- د علي علي صبح- دار إحياء الكتب العربية- د. ط. ت.

19-في ظلال الإبداع مع الشاعرة سعاد الصباح د نجوى حسن-الأوائل للنشر والتوزيع-دمشق-ط1-1991م.

20-قراءة مسافر في شعر سعاد الصباح -د محمد التونجي -شركة النور للصحافة والطباعة والنشر ط 2 سنة 1987م.

21-قضايا وأدوات في شعر سعاد الصباح-مختار أبو غالي-دار سعاد الصباح-القاهرة ط1- 2003م.

22–لغة التماس مطالعة في شعر سعاد الصباح–محمود حيدر–مؤسسة دار الكتاب الحديث –بيروت لبنان ط1 1995م.

23–مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ع 105 الكويت–أبريل مايو يونيو سنة 2002م "تمرد امرأة خليجية– قراءة نقدية في شعر سعاد الصباح–د عبد الله أحمد المهنا".

24–المغامرة الجمالية للنص الشعري–دمحمد صابر عيد–عالم الكتب الحديث للنشر–عمان–ط1–2008م.

25–النص والنص الغائب في شعر سعاد الصباح–دعبد الملك مرتاض–شركة النو–بيروت–لبنان–د. ط. ت.

المراجع مترجمة:

Sources and references:

First: The Holy Quran.

Second: Sources:

1- Diwan Akher Al-Sayouf - Souad Al-Sabah - Souad Al-Sabah Publishing House - 1st edition - year 1992 AD.

2- Diwan to You, My Son - Suad Al-Sabah - Suad Al-Sabah Publishing House - 1st edition - year 1992 AD.

3- The book of a woman without coasts - Suad Al-Sabah - Dar Al-Suad Al-Sabah for publishing - 1st edition - year 1994 AD.

4- Diwan Omnia Dr. Suad Al-Sabah - Dar Al-Maarif Press, Egypt, in 1982 AD.

5- Diwan Urgent Telegrams to My Homeland - Suad Al-Sabah - Dar Al-Suad Al-Sabah for Publishing - 1st Edition in the year 1992 AD.

6- Diwan Take me to the borders of the sun - Suad Al-Sabah - Dar Al-Suad Al-Sabah for publishing - 1st edition - year 1997 AD.

7- Diwan Fatafeet of a Woman, Dr. Suad Al-Sabah - Dar Suad Al-Sabah - 1st edition - year 1992 AD.

8- Diwan In the Beginning Was the Female - Suad Al-Sabah - Dar Al-Suad Al-Sabah for Publishing - 1st edition - year 1992 AD.

9 -Diwan of Love Poems - Suad Al-Sabah - Dar Al-Suad Al-Sabah for Publishing - 1st edition - year 1992 AD.

Second: References:

10 - Text Tools - Muhammad Tahrishi - Publications of the Arab Writers Union - Damascus - 1st edition - 2000 AD.

11 - The Signs of Poetry in Kuwait - Ali Abdel Fattah - Ibn Qutayba Library for Printing, Publishing and Distribution - Kuwait - 1st edition - 1999 AD.

12 - The Poetic Experience of the Recipient - Dr. Abdullah Mahrous - Al-Amana Press - 1st edition in 1988 AD.

13 - A Study in the Poetry of Suad Al-Sabah - Nabil Ragheb - The Egyptian General Book Organization - Egypt - 1st edition - 1993 AD.

14 - Suad Al-Sabah, Poetry and Poetry - Fadel Khalaf - Al-Nour Company - Beirut - Lebanon - 1st edition - year 1992 AD.

15- Suad Al-Sabah, Poet of Intimate Belonging - Fadl Al-Amin, Al-Nour Company - Beirut - Lebanon - 1st edition - in the year 1994 AD.

16 - Suad Al-Sabah, A Journey in Her Incomplete Works - Abdul Latif Al-Arnaouti - Al-Nour Company - Beirut - Lebanon - 1st edition - year 1995 AD.

17 - Contemporary Arabic poetry, its issues and its artistic phenomena - Izz al-Din Ismail - Dar al-Awda - Beirut, Lebanon - Dr. T - 2000 AD.

18 - The Literary Image, History and Criticism - Dr. Ali Ali Sobh - Dar Revival of Arabic Books - Dr. i. T.

19 -In Shades of Creativity with the Poet Suad Al-Sabah, Dr. Najwa Hassan - Al-Awael for Publishing and Distribution - Damascus - 1st edition - 1991 AD.

20- A traveler's reading of the poetry of Suad Al-Sabah - Dr. Muhammad Al-Tunji - Al-Nour Company for Press, Printing and Publishing, 2nd edition, 1987 AD.

21 -Issues and tools in the poetry of Suad Al-Sabah - Mukhtar Abu Ghali - Dar Suad Al-Sabah - Cairo, 1st edition - 2003 AD.

22- The language of seeking reading in the poetry of Suad Al-Sabah - Mahmoud Haidar - Dar Al-Kitab Al-Hadith Foundation - Beirut, Lebanon, 1st edition, 1995 AD.

23 - Journal of Gulf Studies and the Arabian Peninsula, p. 105, Kuwait - April, May, June, 2002 AD.

24 - The Aesthetic Adventure of the Poetic Text - Muhammad Saber Eid - The World of Modern Books for Publishing - Amman - 1st edition - 2008 AD.

25- The text and the absent text in the poetry of Suad Al-Sabah - Dr. Abdel-Malik Murtad - Al-Nour Company - Beirut - Lebanon - Dr. i. T.

****